Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.2/ 2024 المجلد ٣٢ / العدد ٢/ ٢٠٢٤

مفهوم القيمة في الإسلام

هناء زايد عباس
قسم العلوم التربوية والنفسية / كلية التربية / الجامعة المستنصرية / العراق
hana.z76@uomustansiriyah.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٦ /١٢/ ٢٠٢٣ **تاريخ قبول النشر:** ١٨/ ١ /٢٠٢٤ **تاريخ نشر البحث:** ٢٨/٢/ ٢٠٢٤

المستخلص

تحددت مشكلة البحث حول النظرة الفلسفية للقيم باعتبارها ضرورة هامة لاستمرار المجتمع بوصفه كياناً ثقافياً اجتماعياً يحمل هوية وطابعاً مميزاً للبشر الذين يعيشون فيه وينتمون إلى هذا الكيان، وهنا تبرز أهمية القيم في مجالي الحياة الأخلاقية والتنشئة الاجتماعية فتظهر على أنها تمثيلات تشكل محل عالم بذاته يمكن العيش فيه وذلك من حيث أنها تؤلف رباطاً بين الأشخاص وعلى هذا النمو تحدد القيم حيزاً تواصلياً قلبياً يكون كل لقاء فيه تحققاً أو إخفاقاً أو تعديلاً، وعليه كانت هدف الدراسة التعرف على ان العلم هو عالم الضرورة والحتمية. والأخلاق هي عالم الحرية والمسؤولية وفلسفة القيم تدعو إلى حرية الإنسان وإلى الحد الذي يجعله خالقاً للقيم، فالحرية هي التي تعطي قيمة للإنسان وهي الأصل في وجود القيم إلا أن هذه القيم والمعايير تختلف باختلاف الأشخاص ولو كان لجميع الناس قيم ومعايير واحدة لهان الأمر ولكن الحال ليست كذلك فلكل إنسان خارطة أو سلم يرتب عليه قيمه ومعاييره أو عند تعرف الإنسان على قيمه يكون لديه عدد من القيم الأساسية وتحت كل واحدة من هذه القيم عدداً آخر من القيم الثانوية، ومن خلال ذلك ارتأيت أن استخدم المنهج الوصفي والمنهج التاريخي في بحثي للتعرف على هذه القيم الموضوعة وعليه نستنتج مما سبق أن هذه القيم ليست ثابتة فهي تتغير باستمرار صعوداً ونزولاً ويؤدي تغييرها غلى تغيير حدود الإدراك للعالم، وتغيير السلوك ويمكن للإنسان أن يتأكد من ذلك إذا استطاع أن يكتب سلم القيم لنفسه ويحتفظ به ثم يقوم بكتابته من جديد بعد سنة أو عدة سنوات ثم يقوم بالمقارنة فسيجد أن هناك تقديم وتأخير أو حذف واضافة في قيماً كتبها سابقاً.

الكلمات الدالة: نظرة، فلسفية، القيم

The concept of value in Islam

Hanaa Zayed Abbas
Department of Educational and Psychological Sciences / College of Education / Al-Mustansiriya University / Iraq

Abstract:

The problem of research is defined around the philosophical view of values as an important necessity for the continuation of society as a cultural and social entity that carries a distinct identity and character for the human beings who live in it and belong to this entity. Here, the importance of values emerges in the areas of moral life and socialization, as they appear as representations that constitute the place of a world in itself that can be lived. In it, this is in the sense that they form a bond between people, and according to this growth, values determine a communicative, heartfelt part in which every encounter is verification, failure، or modification. Accordingly, the goal of the study was to recognize that science is the world of inevitable necessity, and ethics is the world of freedom and responsibility, and the philosophy of values calls for human freedom and The limit that makes him a creator of values. Freedom is what gives value to a person and is the basis for the existence of values. However, these values and standards differ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

according to different people. If all people had the same values and standards, the matter would be easy, but this is not the case. Every person has a map or ladder on which his values and standards are arranged, or when he recognizes them. A person, based on his values, has a number of basic values, and under each of these values there is another number of secondary values. Through this, we find that the researcher used the descriptive method and the historical method in his research to identify these established values, and therefore we conclude from the above that these values are not fixed، they change. Constantly going up and down, and changing them leads to changing the limits of perception of the world, and changing behavior. A person can be certain of this if he is able to write a scale of values for himself and keep it, then write it again after a year or several years, and then compare. He will find that there is an advance and a delay or deletion and addition of values. Written by him previously.

Keywords: outlook, philosophical, values

المقدمة

يعد مبحث القيم من أهم مباحث الفكر الإنساني منذ بدايات نضجه ومن أكثرها إحاطة بميادين الحياة ومجالاتها المختلفة مثل الاقتصاد والجمال والسياسة والأخلاق والفن وعلوم الاجتماع والإدارة والنفس والدين أي أنه ليس قاصراً على واحد منها دون غيرها. لكن كان الغموض يلف مسألة القيم واهميتها من الناحية التاريخية لان الفلسفة القديمة لم تجعل القيمة وفق التصور الحديث موضوعاً للنظر والاعتبار ضمن موضوعاتها ولكننا يمكن ان نجد بدايات ظهور فكرة القيمة عند افلاطون الذي جعلها فوق الوجود جاعلاً منها المبدأ الاول للتفسير.

وتسمى الفلسفة التي تعرض للبحث في القيم أو المثل العليا بفلسفة القيم أو بعلم الاكسيولوجيا نسبة إلى الكلمة اليونانية اكسيوس ومعناها الثمين وذلك لغاية هذه الفلسفة أو هذا العلم بعملية التقييم او التقدير. وقد عرف الفلاسفة القدامى والمحدثون مفهوم القيمة منذ عهد بعيد فتبدو واضحة في نظرية المثل عند افلاطون والذي نادى بان الخير او القيمة هو سبب وجود الوجود، وعليه جاء البحث بمبحثين تناول المبحث الأول التعريف بالقيم ومفهوم القيم وكذلك القيم في الشرق القديم وأنواع القيم، أما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن الإنسان والقيمة بالإضافة إلى موضوعية القيم وذاتيتها وأيضاً التعرف على القيم المثالية ألا وهي الحق والخير والجمال، حيث يمثل هذا الثالوث وحدة واحدة اذ ان الخير هو رئيس عالم المثل والشمس تضيئه والخير الاخلاقي هو اساس الخير الجمالي والقيمة تسمو على المنطق او الحق.

المبحث الأول: التعريف بالقيم

أولاً: مفهوم القيم: تدل كلمة القيمة من الناحية اللغوية على الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية فهي مشتقة أصلاً من الفعل (قام)، بمعنى وقف، واعتدل وانتصب، وبلغ وأستوى[1،ص35].

ومن هنا كان قولهم استقام الأمر أي اعتدل، واستقام الشعر أي اتزن وتعني قيمة الشيء سعره أو ثمنه، حيث تدل مجازياً على ما اتفق عليه أهل السوق وقدروه ورجوه في معاملاتهم بكونه عوضاً للمبيع [2،ص178]، فالقيمة هنا كالثمن، وقد ورد في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية باب القاف ص٧٧٤ " قيمة الشيء ": قدره وقيمة المتاع ثمنه".

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومن معاني القيمة الدوام والثبات والاستقامة والكمال فمن العبارات الشائعة قولهم " ما له قيمة " بمعنى أنه لا يدوم ولا يثبت على الشيء وكان وصف الإنسان أيضاً أو الشيء أو العمل أو الدين بكونه قيماً أي مستقيماً، فالإنسان القيم هو المستقيم والديانة القيمة هي الديانة المستقيمة. بقوله تعالى: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [سورة البينة: 15]، { فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ } [سورة البينة:3]. هذه المعاني مثل الاستقامة والثبات والاعتدال وبَلوغَ الغايةَ تَدل على الكمال لأنها صفَات مستحَبة في الإنسان وغيره بينما يدل مقابلها على النقصان.

أما من الناحية الفلسفية فتدل القيمة على القوة والصحة والشجاعة وهذا بالنظر إلى معنى الكلمة الاشتقاقي، فكلمة القيمة كلمة لاتينية الأصل مأخوذة من الفعل المصرف ومعناها في الأصل أنا قوي أو أنا في صحة جيدة وهو معنى يتضمن فكرة المقاومة والصلابة والتأثير والفعالية وترك بصمات قوية على الأشياء [3،ص 9].

ولما كانت القيمة الأخلاقية تهتم بالبحث في الفضيلة التي تشير في الفعل اللاتيني إلى قوة الإنسان وصلابته أمام الأخطاء والملمات أصبحت الفضيلة مرادفة للشجاعة التي تأتي على رأس الفضائل الأخلاقية، وأصبحت الشجاعة تدل على قيمة الإنسان، وأصبح لزاماً على المرء ان يتحلى بكثير من الشجاعة في مواجهته الدائمة للغواية والشر، وهو بهذا يؤكد دائماً على أخص ما يتميز به من قيمة إنسانية تعييره مكاناً مرموقاً في المجتمع.

ومع مرور الأيام أصبحت القيمة تدل على معان أخرى شاع استعمالها بين علماء اللغة والرياضة والفنون والاقتصاد وغيرهم [3،ص9]. فيرى علماء اللغة أن للكلمات قيمة نحوية تحدد معناها ودورها في الجملة، وان قيمة الألفاظ تكمن في الاستخدام الصحيح لها.

ويستخدم علماء الرياضة كلمة القيمة للدلالة على العدد الذي يقيس كمية أي للدلالة على الكم أي على حجم الشيء وعظمته وليس للدلالة على كيفه. اما الفنانون، فأن القيمة الفنية عندهم تجمع بين الكم والكيف وهي بهذا تعبر عن كيف الألوان والأصوات والأشكال والعلاقات الكمية القائمة بينها فالموسيقيون مثلاً يدلون بها على المدة التي يجب أن تكون للنوتة أي أن القيمة عندهم تتألف من النسب بين الأصوات والأنغام.

ويهتم علماء الاقتصاد بقيمة المبادلة ويدلون بالقيمة على الصفة التي تجعل شيئاً ممكن الاستبدال بشي آخر، وبالنظر إلى المشاكل التي نجمت عن تحليل قيمة المبادلة فقد استعاض الاقتصاديون عنها بفكرة الثمن [3، ص10]. أن القيمة ليست مجرد ما يرغب به في الواقع، ولكنها ما هو جدير بأن يرغب به على مستوى ما ينبغي أن يكون [4،ص35].

وقد استخدم الفلاسفة كثيرا من الكلمات المرادفة للقيمة ومن هذه الكلمات الخير والخير الأسمى والكمال والمثل الأعلى والمعيار فمثلاً كلمة الخير من الكلمات ذات الدلالة الأخلاقية التي تدل على القيمة، وقد رأى افلاطون أن الخير أسمى المثل وهو مصدر الوجود والكمال.

ويرادف الكمال القيمة وهو نوع من التمام يأتي الفكر والإرادة للتحقق فيه والزوال به ويقصر ديكارت الكمال على الله وحده، ويرى أن كل ما سواه يتصف بالضعف والنقص وتحتوي القيمة على المثل الأعلى الذي قد يتحقق في المستقبل بوصفه غاية مطلقة للإرادة البشرية، أما عن المعيار فانه يمكن التعبير به عن المثال الذي تتطلع اليه ونصل الى تحقيقه بالتجاوز اللامحدود لكل ما هو واقعي معاش[3،ص12].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ان كلمة القيمة التي تحتل مكان الصدارة في فكرنا المعاصر كان القدماء يدلون عليها، كما أشرنا بكلمة الخير وكلمة الخير التي هي مشتقة من الفعل خار يخير أي صار ذا خير تستخدم في اللغة العربية للإشارة إلى ما يرغب فيه الكل كالعدل والعقل والنافع والفضل وضدها الشر [3،ص12].

فالخير هنا يعتبر غاية تطلب لذاتها وليست وسيلة إلى تحقيق غاية ويوضح معنى الخير كفاية، يعلو قدر الإنسان بتحقيقها قوله تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ } [آل عمران: 104].

وقد تستخدم كلمة الخير في اللغة العربية للدلالة على التفضيل الذي هو صفة تدل على زيادة في الكمال عند صاحبها بالنسبة إلى غيره ولقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وتزوَّدوا فإنَّ خير الزَّاد التَّقْوى } [البقرة: 197]، وقد تستعمل كلمة الخير للدلالة على المال والثروة وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } [العاديات: 8]، والخير هنا يعتبر وسيلة تساعد الإنسان على احتلال مكانة مرموقة في المجتمع، وعلى علو قدره وقيمته، وعلى عكس ذلك قد يعزى الحال بالمرء بالسعي وراء اللذات واعتبارها غاية قصوى لحياته وهو ما لا تتحقق به القيمة.

ثانياً: القيم في الشرق القديم: تتميز شخصية الإنسان منذ ظهورها على وجه الأرض بأنها شخصية تقييمية والطبيعة البشرية ليست مجرد طبيعة أو انطولوجية، بل هي أيضاً طبيعة اكسيولوجية، وموقف التقييم فطرة في الإنسان، فطره الله عليها، ومعاييرها في رأيه توجه أحكامه على الأشياء وسلوكه نحوها حسبما يرى، وليس يكفي أن تقول عن الإنسان أنه موجود القيم أو أنه كائن تقييمي بل يجب أن نضيف إلى ذلك أيضاً أنه الكائن الأخلاقي الذي لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم [5،ص21-14].

ويتضح للباحث الذي يؤرخ في المواقف التقييم في تاريخ الثقافات على مر العصور في الشرق والغرب، من قبل ظهور الأديان، أن القيم الإنسانية العليا قائمة منذ الأزل وإلى الأبد وكلها تدعو إلى العدل والمساواة والعفة والصبر والشجاعة والتواضع والتعاطف وكرامة الإنسان وحريته وإلى الإخاء والتسامح والحق والصدق والمحبة بين جميع البشر على اختلافهم عقيدة وموطناً ولوناً وجنساً فثقافة الفراعنة الأساتذة الأوائل للإنسانية تركز على الإيمان بالبعث والحياة الأخرى بحيث نلاحظ ان مختلف جوانب حياة الفرد في حياته الأولى تتأثر بفكرة استمرار وجوده [3، ص14-13]. وقد حفز هذا الإيمان المصريين الأوائل على الاحتفاظ بأجساد موتاهم والنهوض بصناعة التحنيط التي ارتبطت بمفهوم الخلود[6،ص8].

أما الحضارة الفارسية التي تدين بالمجوسية فقد اعتقدت بوجود إلهين اثنين أصليين او مبدأين للوجود، أحدهما النور والآخر الظلمة، فالخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة [7،ص233].

ويقسم هذان المبدآن الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، وهما في حالة صراع دائم في الوجود العام، وفي الوجود الخاص ممثلاً في ضمير الإنسان وإن هذا الصراع يكون من أجل التعرف على النور فمفهوم القيمة في هذه الحضارة يقوم على تقبل مبدأي الخير والشر اللذين لا يتوقفان لحظة عن التدافع خلال تطور العالم والوجود عامة، والذين يوقظان ضمائر الناس للبحث عن النور، ويمثل الضمير الإنساني في هذه الثقافة ساحة قتال بينم روح النور وقوة الظلام من أجل نصرة مفهوم قيمة الخير. ومن فرق المجوس التي سادت ديانتها بين الفرس الزرادشتية وقد اعتبر اليونانيون زرادشت من احكم رجال العالم القديم [6،ص16].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وطبقاً لزرادشت فلكل من النور والظلام والخير والشر اهمية في جعل الكون كاملاً، فعالم من غير شر يستحيل وجوده تماماً كحياة من غير ألم، وأن عنصر التنافر بين الاثنين يجعل الحياة مثيرة شائقة ويساعدنا على خلق جو متآلف من الفوضى الشاملة وتنحصر قيمة الخير في الانتصار على الشر تماماً، كما تنحصر قيمة الصحة في الانتصار على الالم، ولا يملأ حياتنا نشاطاً وحماسة إلا كفاحنا للخروج من الظلم إلى النور، وقد عبر برناردشو عن هذه الفطرة بقوله: " ان العطلة الدائمة هي أحسن تعريف عملي لجهنم"[6،ص16].

وإذا انتقلنا إلى الحضارة الهندية التي تمثل أسمى حكمة، فإننا نجد أن مفهوم القيمة فيها يرتبط بفكرة التمييز بين وجود الاله براهما وهو وجود مطلق وعام ولا نهائي لا يجوز عليه التغيير والاتمان الذي هو الضمير في كل فرد، وعندما ينجح الاتمان أو الفرد في تحقيق ذاته وتوكيدها بحيث تتطابق مع المطلق أو يراهما فأنه عندئذ يتخلص من كل الشرور التي تصاحب وجود الظواهر الجزئية [3،ص26].

ولا يتحقق مفهوم القيمة في بعض الديانات الهندية الأخرى بالتطابق مع المطلق، ولكن يحدث من خلال الصراع الدائم بين الروح والطبيعة، ورفض الضمير أو الروح لما تأتي به الطبيعة، وضرورة تعرف الفرد على ذاته بصفته مخالفاً للطبيعة، فمثل هذان الموقفان في الثقافة الهندية، وهما موقفا التطابق مع المطلق براهما، والصراع مع الطبيعة، أهم الاتجاهات في تقدير القيمة في وقتنا الحاضر باعتبار أن أحدهما هو محاولة للتحقيق بالمطلق والآخر تجربة تصفية روح يضاف إلى ذلك أن رأى الهنود في مجال القيمة يوضح الصلة بين القيمة والواقع [3،ص17].

أما عن تقدير حضارة الصين لمفهوم القيمة، فيتضح في وضعها عالم الطبيعة في مقابل عالم الروح كمتضادين يتنازعان، وقد اعتبرت الحضارة الصينية الإنسان مركز الكون والأحداث، وأن الإنسان المدرك للمسؤولية يقف نداً لقوى الكون: السماوية والأرضية، وهذا هو ما تعنيه فكرة إمكان التأثير في التغير عن طريق مسايرة التغير لا بمقاومته، فالبذرة تنمو بفضل التغير، ولكن في مكنة الإنسان التدخل في عملية التغير عن طريق توليه زراعة البذرة[8،ص44].

ويرتبط مفهوم القيمة عند الصينيين بالواقع، وضرورة ان يخضع كل عمل في الحياة لمفهوم العدالة، فمن الواجب على كل فرد القيام بواجبه اتجاه أسرته أو المجتمع الذي يعيش فيه، ويختفي الظلم من وجه البسيطة إذا تعلم الناس كيف يحكمون أنفسهم بالعدل ولو لقرن واحد[3،ص29].

وإذا كانت الكونفوشيوسية ترى أن تقرير القيمة إنما يتم من خلال التواجد في جماعة، فإن الطاوية أحد المذاهب السائدة في الصين توجه إلى الالتحام بالمطلق الذي يعطينا كل شيء وفق كونفوشيوس (٤٧٩-٥٥١ ق.م) في صياغة الذهن والخلق الصينيين ووضعهما في قالب فريد، وفي وسع الباحث أن يصف أسلوب حياة الشعب الصيني طوال الالفي سنة الماضيين في كلمة واحدة كونفوشيوس[8،ص63]. وقد انتصرت نزعة كونفوشيوس الإنسانية بفضل تعاليمها السمحة وتمجيدها للفضيلة على المذاهب القائمة على الأساطير والخرافات ويكمن سر جاذبية كونفوشيوس الفكرية في توكيد سيادة القيم البشرية وفي هذا يقول: "الحكمة أن نفهم الناس، والفضيلة أن تحب الناس"[8،ص80].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ثالثاً: انواع القيم

القيم نوعان: قيم اقتصادية مادية، تباع وتشترى وينشدها الناس كوسيلة لتحقيق غاية، وقيم إنسانية روحية أخلاقية تلتمس لذاتها وتطلب كغاية.

والقيم الاقتصادية، وهي قيم واقعية تتعلق برغبة اكتساب الخبرات وهي تتبع الحاجات وتسلسلها، وقد أشار الاقتصاديون غلى نوعين منها: قيم الاستعمال، وقيم التبادل، فبعض الأشياء مثل الماء والهواء لها قيمة كبيرة في الاستعمال بينما تتضاءل قيمتها في التبادل، لأنها في الغالب مجانية بينما الماس له قيمة ضئيلة في الاستعمال، وكبيرة جداً في التبادل ويركز الاقتصاديون في أحاديثهم بصفة عامة على قيمة التبادل لأنه لا قيمة للشيء أو للسلعة في ذاتها، بل في تبادلها مع شيء آخر، ومن هنا كانت نسبة ذاتية متغيرة بتغير أسبابها والظروف التي تكتنفها[9، ص22].

وقيمة الشيء بهذا المعنى، في علم الاقتصاد، ويقصد بها السعر المقدر له، فالقيمة إذن مرادفة للسعر، وقيمة السلعة هو ثمنها او سعرها أن القيم الاقتصادية هي قيم من إنتاج البشرية لإشباع رغباتها الأولية، وتتميز بطابعها التجاري النفعي الذي يساعد على انتقالها من يد إلى أخرى، ومن هنا كان من حق الإنسان امتلاكها والتمتع بها، وهي كما أشرنا قيم ذاتية نسبية ينشدها الناس كوسائل لغايات أعلى هي القيم الإنسانية المتمثلة في المثل العليا التي لا تباع ولا تشترى، ويضحى الانسان في سبيلها بروحه ودمه، أما القيم الإنسانية الروحية فتختلف اختلافاً كبيراً في القيم الاقتصادية، وهي تمثل القيم العقلية المتعلقة بالحق وقيمة البرهان قيمة كتاب، قيمة اكتشاف علمي، والقيم الأخلاقية المتعلقة بالخير والقيم الجمالية المتعلقة بالجمال، فمثلاً في قيمة قطعة موسيقية أو لوحة فنية أو رواية أو مسرحية أو قصيدة شعرية... الخ [10،ص50].

ويرفض بعض الفلاسفة اعتبار القيم الاقتصادية والقيم الإنسانية قيماً من نوع واحد، فالفيلسوف الالماني كانت يرفض ان نضع الماديات في مصاف القيم والمثل العليا ويعتبر الواجب وحده قيمة في ذاته وغاية ولاشك أننا عندما نحدد كل شيء سعراً وثمناً فنتحط إنسانياً قيمة كل شيء: " إن اقحام وجهة النظر الاقتصادية وحساب الربح والخسارة في الفن والأخلاق والدين والحب والحياة الاجتماعية، ينطوي على بعض ما يصطدم ويهدم بيع صكوك الغفران والشح في اكتناز الجدارة الأخلاقية "[11،ص142].

وإذا كانت القيمة في الحقل الاقتصادي تعني علاقة بين موضوع وموضوع آخر فأنها في الجانب الإنساني تعني علاقة بين ذات وموضوع تقوم الذات عن طريقها موضوعات الحق والخير والجمال، يضاف إلى ذلك أن القيمة الاقتصادية إذا كانت تتميز بطابع النسبية فان القيم الإنسانية الروحية تتصف بالمطلقة وبان لها قيمة في ذاتها[3، ص28].

وإذا كان بعض الفلاسفة يرفض التسوية بين القيم الاقتصادية والقيم الإنسانية فأن البعض الآخر، ومنهم الفيلسوف الفرنسي المعاصر لوى لأفيل يرى أن عالم القيم واحد، لا تفرقة فيه بين قيم اقتصادية وقيم إنسانية معنوية، بل القيم كلها يجب ان تكون من نوعية واحدة يقول لأفيل في كتابه مبحث القيم الجزء الثاني:"كما أننا نبدأ دراسة الإنسان بدراسة الجسم، فأننا نبدأ بدراسة القيم بالقيم الاقتصادية وذلك لأنها تتصل مباشرة بحاجات الجسم، وقد تبدو هذه القيم صوراً معكوسة للقيم الروحية، ولكن هناك ارتباط وثيق بينهما فالقيم الاقتصادية هي القيم التي تحافظ على

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الحياة ولا بقاء للحياة بدونها، ومن هنا فهي ترتبط بالقيم الإنسانية الأخرى، فالإنسان روح وجسد ولا نستطيع ان نفضل أحدهما عن الآخر[3،ص29].

ان طبيعة القيم الاقتصادية لا تختلف عن طبيعة القيم الإنسانية المعنوية لأنها كلها من نوعية واحدة، وفقاً لرأي هذا البعض من الفلاسفة وأن كان هناك من اختلاف فهو من حيث اعتبار القيم الاقتصادية وسائل لتحقيق الغايات الإنسانية المعنوية[3،ص29]. وتلعب القيم الاقتصادية في نظر الاسلام دورا كبيرا في حياة الناس وليس هذا بالأمر الغريب عليه خاصة إذا علمنا أن جوهر الإسلام هو في حقيقته مزيج من الدين والدنيا من الروح والمادة، من المثالية والواقعية، أن المأكل والملبس والمسكن من النعم التي أوجب الله علينا طلبها والتمتع بها ولا يوجد فيها وفي غيرها من الحاجات المشروعة والنعم المباحة ما يحتقر أو يعاب، ولكن بشرط أن نجعل منها وسائل لكمالات أرقى وأسمى منها، والمسلم الذي يعمل على إرضاء حاجاته من المأكل والمشرب والملبس والمسكن هو مثل العابد الصالح، أن هذه الحاجات ضرورات واجبة للإنسان وهي ضرورات لابد من وجودها، ومن تمتع الإنسان بها، كي يتحقق له المعنى الحقيقي للحياة الذي يستحيل معه قيام الدين بدون توافرها، وهذا الشيء طبيعي يستحق مع جوهر الإسلام الذي يرى إن صلاح أمر الدين يتوقف على صلاح أمر الدنيا المتمثل كما قلنا في ضرورة تمتع الإنسان لهذه الحاجات الضرورية وممارسته لها[3،ص30].

ويعبر حجة الإسلام الغزالي عن هذه الحقيقة الإسلامية أصدق تعبير عندما يقول: ان نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا... فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل اليهما الا بصحة البدن، وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن... فلا ينتظم الدين الا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية. .. وإلا فمن كان جميع اوقاته متفرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، حتى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة فإذن: أن نظام الدنيا اعني مقادير الحاجة شرط لنظام الدين[12، ص135].

ان الإسلام هو دين الوسطية والتعادلية وهو ينادي بالتكامل في كل الأشياء، ومن هنا كان احترامه وتقديره للقيم الاقتصادية، قيم الحياة وبضرورة تمتع الإنسان بالحاجات الضرورية التي أوجبها ونص عليها، يقول تعالى: { يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الاعراف: 31]، وقوله تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [الاعراف: 32]، وقوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القَصَص: 77].

وقد ورد فَي الأحاديثَ النبويَة الشريفة قَوله (ص) " نعمَ المال الصالح للرجل الصالح " ومن تزوج فقد أحرز شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني "، " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: أن الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً، وفعله حسناً، فقال: أن الله جميل يحب الجمال " [13،ص23].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المبحث الثاني: الإنسان والقيمة

أن وجود الانسان في هذا العالم هو أمر ضروري وحيوي، إذ يجعل منه عالماً قيمياً بالدرجة الأولى، ويعطي للبحث في القيمة أهمية كبرى لأن العالم الذي يخلو من وجود الإنسان يتحول إلى عالم مغلق معتم لا يعرفه أحد، ولا يمكن أن يقال عنه شيء كما أن القيمة ينعدم تصور وجودها إلا في علاقتها به، أن الإنسان هذا الكائن العاقل العريب هو من اعاجيب الطبيعة، وكما يقول بذلك ابن باجة في كتابه " تدابير المتوحد" [14،ص75]. " لقد احتل الانسان في التصور الفلسفي القديم والوسيط مكان الصدارة وأصبح مركز الكون ومحور الوجود وسيد الخليقة، وحول أرضه التي يعيش عليها، والسيد المسيح (عليه السلام) تدور الشمس وسائر الكواكب الأخرى، ثم اتت الكشوف العلمية الحديثة على يد كوبرنيكوس (1543م) وغاليلو (1643م) لتنكر هذا التصور وتوضح ان الشمس ليست الارض هي مركز الكون وأن الأرض والكواكب الاخرى تدور حولها خلافاً لما ذهب اليه عالم الفلك القديم بطليموس، وظهر الانسان في صورة كائن لا يتميز كثيراً عن غيره من الكائنات، وفقد بذلك المكانة الفريدة التي كان يتميز بها، وتتالت بعد ذلك الكشوف والنظريات العلمية الحديثة والمعاصرة التي ازاحت الانسان من مكانه العلوي وافقدته منزلته الفريدة التي كان يحتلها في التصور الفلسفي القديم "[3،ص34].

هذا التصور العلمي الحديث فيما يبدو لنا، يظلم الانسان ظلماً فادحاً لأن الانسان هو الكائن الاخلاقي الوحيد، وهو وحده صانع الحضارات، ومنشئ الفلسفات ومخترعه العلوم الذي استطاع ان يسيطر على مملكة الحيوان ومملكة الجماد معاً [3،ص34] .

ان الانسان فيما نراه هو كائن عضوي واجتماعي واخلاقي روحاني في وقت واحد فهو كائن عضوي يقوم وجوده على جسمه قبل كل شيء ويخضع لمطالب بيولوجية يعمل على تحقيقها، وحاجات عضوية يستهدف اشباعها والانسان كائن اجتماعي مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته صفة لازمة لطبيعة وخلقه قائمة في جوهره فهو اجتماعي بالطبع خلقي ليعيش في مجتمع تربطه بغيره من افراد المجتمع روابط معينة [3،ص35] .

تعين انسانيته الكامنة فيه على الظهور والازدهار، ولكن الانسان استطاع رغم كل هذا بوصفه كائناً اخلاقياً روحانياً ان يتجاوز كل هذا، وان يتحرر إلى حد ما من هذه الحاجات العضوية والمطالب البيولوجية ومن علاقاته بجسمه ومن ضغط المجتمع عليه، ليعيش حسب مقتضيات روحه، متميزاً بقدرته العقلية، دون سائر الكائنات على التطلع الى المستقبل من أجل مثل أعلى وغاية نبيلة تجعله انبل مما كان في ماضيه، ولا يكون بذلك مجرد انعكاس لما يجري في جسمه ولا مجرد صدى لما يجري في مجتمعه، ان الانسان هو الكائن الاخلاقي الوحيد الذي يتعالى على الواقع وينفرد بالقدرة على التطلع الى ما ينبغي ان يكون وعلى صنع القيم التي يحاول ان يعيشها تجربة في حياته[3،ص35] .

ان حياة الانسان تصبح غير ممكنة إذا لم تكن معتمدة على القيم التي تعطي لوجودها بعداً وقدراً لم يكن لها ومن هنا كان دفع القيم لنا على البحث عنها والاستمرار في طلبها مهما كانت العوائق والعقبات وكل فعل او نشاط وكل وصف مرغوب فيه او قابل للرغبة فيه ويسعد الانسان ويحافظ على وجوده ويعطي له وجهته ومعناه[3،ص35].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ان القيم هي كل شيء بالنسبة الى الانسان حيث تعمل على تأكيد انسانيته والسمو بها من درجة الى أخرى اعلى منها، أننا لا يمكن ان نتصور وجوداً حقاً للإنسان بدون القيم، كما أننا لا يمكن ان نتصور وجود حقاً للقيم بدون الانسان، وكما يقول الحسن بن الهيثم:"ان القيم العليا تميل الى ان تجعل من الانسان انساقاً يساوى آلاف الوف الرجال، أو انساناً كاملاً [15،ص27]. فيما يذهب الى ذلك محيي الدين بن عربي: " تصير حياته روحانية موقوفة على خدمة المطلق والجهاد في سبيله "[16،ص303-301].

* موضوعية القيم وذاتيتها:

الحسن والقبح أو الخير والشر في الاسلام له علاقة وثيقة بنظرية القيم في الفلسفة الحديثة، ويقول الاستاذ أحمد امين في ذلك ان الخلاف بين المعتزلة وغيرهم في الحسن والقبيح الذاتيين يذكرنا بالخلاف بين الفلاسفة المحدثين فيما يسمى نظرية القيم، هل قيم الاشياء من جمال وخير وشر وحق وباطل صفات عينية في الاشياء، أي هل لها وجود مستقل عن عقولنا ؟ أم هي من وضع العقل ؟ فطائفة من الفلاسفة تقول: ان للقيم وجوداً مستقلاً من العقل، ووظيفة العقل هو ادراكها، فالعقل يتبينها ولا يثبتها وطائفة تقول ان القيم مجرد معان قائمة بالعقل يصف بها الناس الاشياء إذا كانت لها هي نظرهم قيمة ولهم فيها غرض أو غاية ولا توجد الا حيث توجد هذه الغاية[17، ص51] .

ونعرض الان لوجهة نظر اهل السنة المعتزلة في الخير والشر أو الحسن والقبح حسب اصطلاح المتكلمين وبتعبير آخر هل لتمييز قيم الاسلام بالموضوعية ام بالذاتية، رد أهل السنة القيم والحسن والقبيح أو الخير والشر إلى ارادة الله، وقالوا ان الخير ما حسنه الشرع، واثنى عليه والشر ما قبحه ونفر منه، والخير والشر يجب بالشرع لا بالعقل، و على ذلك فأهل السنة ينفون الخير والشر او الحسن والقبح الذاتيين، والافعال حسنة لأمر الله بها وقبيحة لنهيه عنها فالشرع في نظرهم هو المكيف للأعمال حسناً وقبحاً ومعنى هذا ان مقياس الخير والشر عند اهل السنة يرتد الى الارادة الالهية، وليس ثمة فعل يمكن وصفه بانه خير في ذاته او شر في ذاته ويشهد بهذا ان القتل يستحسن حين يكون قصاصاً ويستقبح حين يقع بغير موجب[18،ص66].

يقول ابن حزم الاندلسي: "ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ما سماه الله تعالى حسناً فهو حسن وفاعله حسن "قال تعالى: { إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ } [الاسراء: 7] وقال تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [الرحمن: 60]، وما سماه الله تعالى قبيحاً فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء في العالم حسناً فهو كله من عند الله تعالى حسن، وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهو حسن[18،ص66].

إن القيم لا تعود بهذا المعنى عند أهل السنة إلى ذوات الاشياء أي إلى صفات عينية قائمة فيها، كما أنها لا يمكن أن تكون من صنع العقل كما ذهب أي ذلك المعتزلة، بل تستمد القيم عندهم من مجال الشرع من الارادة الالهية من أمر الله ونهيه وبهذا قدر لأهل السنة أن يستبقوا علماء اللاهوت من المسيحيين في هذا الموقف ببضعة قرون من الزمان[3،ص142].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يرى المعتزلة أن الحسن والقبح ذاتيان في الاشياء وأنهما يدركان بالعقل لا بالشرع، فالعقل هو المقياس وليس الارادة الالهية والله يأمر بالخير لأن الخير حسن في ذاته، وينهى عن الشر لأن الشر قبيح في ذاته فالصدق والشجاعة والكرم والعفة والحسن فيها ذاتي، والحسن لذاته هو ما كان منشأ الحسن فيه ذات الشيء والكذب والجبن والبخل القبيح فيها ذاتي، والقبيح لذاته ما كان منشأ القبح فيه ذات الشيء، ومعنى هذا أن الخير هو دائماً خير والشر هو شر دائماً، وتوقف الأمر والنهي الالهيان على كون الأفعال خيراً في ذاتها او شراً في ذاتها[3،ص142].

وإذا كانت خيرية الأفعال تقوم في طبائعها فان العقل هو الذي يكشف عن خصائص الافعال التي توجب وصفها بالخير أو الشر دوماً [19،ص205]. ولما كان الله هو مصدر القيم في الاسلام، فقد تميزت القيم بالقداسة وكان لها الهيبة في نفوس المؤمنين بها،ثم ان احترام المؤمنين لها هو احترام ينبع من ذوات نفوسهم عن طاعة اختيارية مصدرها الايمان التعييني بالله، والذي نراه ان القيم في الاسلام تتميز بالمطلقية والنسبية بالموضوعية والذاتية بالثبات والتنوع بالأصالة والتطور[3،ص143].

ان القيم في الاسلام اذا كانت تتميز بأنها عامة مطلقة تصدق في كل زمان ومكان، فذلك راجع الى ان مصدرها هو الله تعالى، الذي يحدد مفهوم الخير أو الشر ويوجه خطابه الى البشرية كافة في كل زمان ومكان، يوضح هذا قوله تعالى على لسان رسوله (ص):{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الاعراف: 158]، وقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [سبأ: 28].

ان تعاليم الله المنزلة، إذا كانت تتميز بأنها عامة مطلقة صادقة في كل زمان ومكان فأن هذا يكون في الاصول والاهداف والجوهر والروح العامة، أما النسبية والذاتية والتطور والمرونة فأنها تكون في الفروع والوسائل والتطبيقات التي يراعى فيها أوضاع كل مجتمع وظروفه وأحواله الخاصة.

والذي نراه بالنظر الى ما سبق ان القول بموضوعية القيم ومطلقيتها لا يتنافى مع القول بذاتيتها ونسبيتها، كما ترى ايضاً ان القول بموضوعيتها الذاتية يبعد عنها الذاتية التي تسلبها سلطتها ويجعل وجودها تابعاً لغيرها، كما يبعد عنها الموضوعية التي تقيم حاجزاً بيننا وبينها ويضعها في مكانها الصحيح اللائق بها الذي يسمح للإنسان بتقديرها حق قدرها ويجعل منها هادياً ومرشداً لنا الطريق الخير والصواب[3،ص146].

* قيم الحق والخير والجمال

قيم الحق: نركز حديثنا هنا على القيم المعنوية الإنسانية المثالية مثل القيم الحق والخير والجمال، فالحق في الإسلام هو القيمة الكبرى، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مائتي مرة، وتعددت معانيه التي منها: أنه قيمة من حيث الوجود وفي هذا يقول ابن حزم: " الحق: هو كون الشيء صحيح الوجود" [20].

وفي صور الإيمان والاعتقاد الذي جاء به الأنبياء: { لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الاعراف: 43]، ومن معاني الحق أيضاً: "العلم اليقيني في مقابل العلم الظني، الظنون والأهواء: { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [يونس: 36]، كما ورد الحق بمعنى العدل: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }[الاعراف: 181]، وبمعنى القانون والحكمة في نظام الأشياء: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الحجر: 85].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والعلم الذي اختص الله به رسوله هو (حق) وعلم وحكمة ونور وفرقان وذكر أو تذكرة وروح وشفاء لما في الصدور: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57]، والله هو الحق الأول وهو الواحد الحق الذي هو علة كل حق، بمعنى أنه تعالى هو الخالق لكل المخلوقات التي هي مظهر لقدرته وحكمته، ولها وجود هو حق وهو تعالى أيضاً مبدعها ومبدع نظام العالم: { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [البقرة: 117].

إن كل ما في الكون هو من إبداعه، وهو تعالى الذي يمسك نظام الكون فيحفظه من الزوال: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا } [فاطر:٤١] فسبحانه: { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الزمر: 63]، { بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } [يس:83]، كما يقول الكندي أول فلاسفة الإسلام في كتابه الفلسفة الأولى: " فلا يخلو شيء من إمساكه وقوته إلا باد ودثر " والله هو الحق الأكبر الذي أعطى كل شيء طبيعته (أي خلقه) وما يترتب عليها من خواصه وأحواله ووظيفته ومجرى أموره: { قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه:50]، وقدرته تعالى محيطة بكل شيء فلا يقع شيء إلا بأذنه أي بأن يأذن بأن تجري الأحداث والأفعال بحسب طبيعتها ونظامها الذي وضعه لها[3،ص85].

وهذا ما فهمه الفارابي في كتابه فصوص الحكم من لفظ مالك وكل علم وكل حكمة عند المخلوقات فهو مستمد من علم الحق الأكبر وحكمته "، { وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الاسراء: 55]، { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } [التين: 8]، وحظ المخلوقات من الوجود أو الفعل إنما هو بالإضافة اليه، لأنه مصدرها وغايتها وهي منه وإليه، وبهذا يتضح لنا أن القيمة الكبرى في الإسلام إنما تمثل في الإيمان بالله تعالى ومحبته واتباع إرادته، وقد اجتهد العلماء المسلمون في طلب الحق والتفرقة بينه وبين الباطل وأحسوا بلذة اقتناء الحق، وكان شعارهم الذي عبر عنه ابن الهيثم في حديثه عن نفسه: طلب الحق وإيثار العدل ويقول الكندي اول فلاسفة الإسلام وعلمائه: " وينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فأنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به، ولا أحد بخس بالحق بل كل يشرفه الحق"[21،ص33].

قيم الخير: وقد ورد لفظ الخير في القرآن الكريم بمعان كثيرة متعددة منها الخير بالمعنى العام الذي يشمل كل ما فيه صلاح الدين والدنيا: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ } [آل عمران:104]. الخير المرغوب فيه من الانسان الذي يحبه الانسان ويحتاج إليه ويدخل السعادة إلى قلبه: { فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص: 24]، الخير بالمعنى المادي المحدد الممتلكات المادية والثروية، فقال: { فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي } [سورة ص: 32]، وبمعنى كل ما يمنحه الله للعباد ومما يفيدهم ويسعدهم في حياتهم.

الخير المثالي المعنوي: بمعنى ما ينفقه الانسان على الغير في سبيل الله: { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا } [النساء: 127]، وتتفاوت الخيرات في الاسلام فخيرات الحياة الآخرة أعظم من خيرات الحيَاة الدنيا وزينتها الزائلة: { بل تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الاعلى: 17–16]. **والحكمة خير كثير:** { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة: 269]، والخير الأعظم هو الله، وهو الباقي الدائم: { واللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه:73]، وإذا قارنا بين مفهومي السعادة والشفاء فإننا نجد أن مفهوم السعادة لم يرد في القرآن إلا مرتين، مرة بشأن السعادة الدائمة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الموعود بها في الحياة الأخرى الخالدة، ومرة ثانية في تقرير السعادة الدنيا المشروطة بالإيمان والعمل الصالح، ويصف القرآن السعادة الدنيوية بأنها حياة طيبة لكنها على كل حال متاع قليل.

أما الشفاء فهو أكثر وروداً في القرآن وهو نوعان، شفاء دنيوي وشفاء أخروي، فالشفاء الدنيوي نرجع إلى ما تتميز به طبيعة هذه الحياة الدنيا من كدح وكيد والشفاء الأخروي فهو الشفاء الأكبر[22،ص160]. والخير كله بيد الله، وهو الخير الحق الذي لا يأتي ابداً إلا بالخير.

قيم الجمال: إدراك الجمال متأصل في طبائع البشر، وربما كان الإحساس بالجمال أقدم وأصل من الإدراك الواعي لمفهوم الحق أو الخير، ومرجع ذلك إلى أن حاسة الجمال قوة باطنية يولد الإنسان دون الحيوان مزوداً بها أن النفس البشرية تهفو بطبيعتها إلى الجمال وتضيق بالقبح ومن هنا اعتبر الإحساس بالجمال من علامات وعي الإنسان ورقيه بوجه عام [23،ص50].

وبهذا تحفل مؤلفات علماء الإسلام الذين تحدثوا عن الجمال والحب بالتهذيب والتوجيه الملائم لأخلاقيات الجمال والاستمتاع به فإذا تصفحنا كتاب " نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع " لمؤلفه بدر الدين ابن سالم بن محمد تابع الصديق، وهو من متأخري العلماء لوجدناه يعالج فيه موضوع الجمال الحسي المتعلق بأمور الحياة الدنيا، فوجدناه يوجه الحديث فيه توجيهاً أخلاقياً ويبدأ بذكر الاحاديث النبوية الشريفة والحكم الاخلاقية السامية[3،ص178]. وقد اشتملت كتب بعض كبار العلماء مثل ابن حزم الاندلسي (ت 456هـ) والغزالي (ت 505 هـ) ومن نهج نهجهما على رؤية جمالية كاملة تمثلت في تحديد مفهوم الحسن والجمال وعناصر الجمال وتمجيد الجمال المطلق والذي هو علة الجمال في كل شي موجود كما تحدثت كتب الأدب عن الحسن والجمال مثل " العقد الفريد " لابن عبد ربه و" عيون الأخبار " لابن قتيبة و " روضة المحبين " لابن القيم، وتطرقت كتب الطب أيضاً إلى الحديث عن موضوع الزينة والجمال.

ونشير هنا بإيجاز إلى بعض آراء ابن حزم والغزالي في موضوع الحسن والجمال وعناصرهما، وحب الجمال لذاته، والسعادة المتولدة عن مشاهدة جمال الربوبية وتذوق جمال بعض الفنون[3،ص179]. يعتبر الجمال عند ابن حزم صفة من صفات النفس الانسانية لأن النفس بطبيعتها تهفو إلى الجمال وتضيق بالقبح وإدراكهما للجمال الطبيعي لا يفتقر إلى تدريب أو تعليم وبينه كتابه " طوق الحمامة " أن يكون نظرية في الجمال والمتعة الجمالية وذلك قوله: "أن النفس بطبيعتها جميلة تولع بالجمال وتميل إلى التصاوير المتقنة فهي إذا رأت بعضها تشبتت فيه..."[24،ص9].

ويلعب الجمال عند ابن حزم دوراً كبيراً في ميلاد الحب وتقوية اواصره كما أن له أثر كبير في نشوء الاعجاب لدى المحب قبل ميلاده، وهنا يتلاقى المفكر الفرنسي (ستندال) مع ابن حزم الذي سبقه بنحو ثمانية قرون في تأكيد أهمية الدور الذي يلعبه الجمال في ميلاد الحب [25،ص24]. فيقول: "وهكذا يكون الجمال ضرورياً لميلاد الحب... ". ان سمات الجمال الحقيقي ومقاييسه تلقي حين تلوح له أن تمنيه بوحده، واحدة مثلاً من وحدات المتعة والهناء أما سمات حبيبته ومقاييسها الفعلية من حسن وجمال فتتميه وتثير فيه الف وحدة من هذه الوحدات. وبهذا يتضح لنا أن الحسن عند ابن حزم ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه لكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهو يرد مكسو على الوجه، واشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع على استحسانه[26،ص179]. فالمتعة الجمالية عنده ليست مشتركاً بين الناس جميعاً، بل هو خبرة ذاتية وتجربة نفسية خاصة لا يمكن تفسيرها الا بذاتها.

أما الغزالي فهو في كتابه " ميزان العمل " وكتاب " الاحياء " يتحدث عن الجمال وتقديره، ومزايا الإنسان الجميل، ويورد في هذا كلاماً تجد له صدى وتكراراً بعد ذلك عند كل من كأنط وشوبنهور. يعرف الغزالي الجمال تعريفاً عاماً فيقول: " كل شيء فجماله في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر"[27،ص299]. فكمال الفرس الذي يجعله جميلاً يتمثل في الهيئة الحسنة والشكل واللون وحسن العدو وتيسر الكر والفر ويتمثل كمال الخط في تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها، وبعبارة أخرى أن الجمال يختلف باختلاف الاشياء فكل شيء له كمال يليق به، وقد يليق بغيره ضده، وحسن كل شيء في كماله الذي يليق به، فجمال الانسان غير جمال الفرس وجمال الخط غير جمال الصوت. ويوضح عناصر الجمال من التناسب في الاعضاء، والتناسق في الشكل وحسن اللون، ونعني بالجمال ارتفاع القامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسق خلقه الوجه، بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها "[28،ص300].

ويربط الغزالي الجمال بالخير وأن الجميل هو رمز الخير بقوله: "أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس، لأن نور النفس إذا تم اشراقه تاوى إلى البدن " والمنظر والمخير كثيراً ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة على هيئات البدن واستدلوا بها على الاخلاق الباطنة. ويفرق الغزالي بين نوعين من الجمال، الجمال الحسي الظاهري والجمال المعنوي الباطني، فالجمال الحسي هو جمال الصورة الظاهرة التي تدركها الحواس، اما الجمال المعنوي فيوجد في أمور كثيرة من الفضائل الخلقية والدينية والعقلية، ويدرك بالبصيرة التي يعبر عنها بالعقل أو بالقلب[27،ص303].

ويختلف حب الجمال لذاته عند أبي حامد الغزالي، عن حبه اشتهاء له، ويرى أن ذلك الأخير ليس حباً للجمال، بل لأمور أخرى، ويقول في هذا أن الانسان قد يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه كحب الجمال والحسن، فأن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال، وذلك لعين الجمال، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها، ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل فضاء الشهوة، فأن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها[27،ص298].

الخاتمة

ختاماً لما ذكرنا عن القيم فأننا نراها تياراً فكرياً خاصاً، يشهد بطموح الانسان ونزوعه الى التسامي وتطلعه الى مزاولة حياة انسانية كريمة ورغبته في الارتفاع فوق مستوى البهيمية المجردة، فالقيم قوالب للتفكير الانساني تساعد الانسان على الحكم على الاشياء وعلى المرغوب وغير المرغوب من السلوك، ونحن نبني قيمنا ومعاييرنا من خبراتنا وتجاربنا ومن انتمائنا للمجتمع الذي نعيش فيه، ومن الثقافة التي تسود حياتنا كما نستمد هذه القيم من الأسرة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والابوين والاقارب والاصدقاء والمعلمين والمربين ووسائل الاعلام والتوجيه وتستقر هذه القيم والمعاير جميعها في العقل الباطن، وعليه تعتبر القيم جزءاً من الأخلاق والفلسفة والسياسية وعلم الجمال ولقد حاولت المذاهب الفلسفية على اختلافها الاجابة بشكل أو بآخر على اسئلة ومشكلات فلسفية ترتبط بالقيم ولكن الإجابات لم تصل إلى اتفاق حتى على طبيعة المشكلات المرتبطة بهذا الموضوع ومع ذلك ستظل القيم مبحثاً فلسفياً هاماً جدير بالبحث والتأمل.

CONFLICT OF IN TERESTS

There are no conflicts of interest

المراجع:

- القرآن الكريم

[١] محمد علي الزبيدي، تاج العروس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦، .vol٩مج.

[٢] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون. بيروت: د.مط، د.ت، .vol١ج.

[٣] صلاح الدين بسيوني، القيم في الاسلام وبين الذاتية والموضوعية. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

[٤] يوسف توميز، القيمة والحرية. دمشق: دار الفكر، ١٩٧٥، .vol١.

[٥] فوقية حسين محمود، فلسفة القيم. القاهرة: شركة اخوان رزيق، ١٩٨٤.

[٦] هنري تومس، اعلام الفلاسفة. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٤.

[٧] الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: سيد كيلاني، .Edالقاهرة، ١٩٩١.

[٨] فؤاد محمد شبل، حكمة الصين. مصر: دار المعارف، ١٩٩٨.

[٩] احمد أبو اسماعيل، اصول الاقتصاد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧.

[١٠] عبدالمنعم البيه، نظرية القيمة. القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٥٣.

[١١] ريمون روبيه، فلسفة القيم. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.

[١٢] الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد. القاهرة: مطبعة صبيح، ب.ت.

[١٣] أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العربية، ٢٠٠٥.

[١٤] عمر فروخ، ابن ماجة الفلسفة المغربية. بيروت، ١٩٥٢.

[١٥] لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب. مصر، ١٩٢٧.

[١٦] كمال اليازجي and انطوان غطاس، اعلام الفلسفة العربية.، د.ت.

[١٧] دوولف اندي، فلسفة المحدثين والمعاصرين. القاهرة: مكتبة الفكر الجديد، ٢٠١٧.

[١٨] ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل. القاهرة: المطبعة الادبية، ١٣١٧هـ، .vol١.

[١٩] توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٧، .vol١.

[٢٠] ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٤٥هـ.

[٢١] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، .Edالقاهرة، ١٩٧٨، ٢vol.

[٢٢] اميرة مطر، مقالات فلسفية حول القيم والحضارة. القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢٣] اميرة مطر، فلسفة الجمال. القاهرة: دار الثقافة للنشر، ١٩٨٤.

[٢٤] ابن حزم،طوق الحمامة في الالفة والالف، تحقيق:حسن كامل الصيرفي،.Ed مصر :مطبعة الاستقامة، ١٩٦٤.

[٢٥] ستندال، هذا هو الحب. القاهرة: كتاب الهلال، ١٩٧٨.

[٢٦] ابن حزم، الأخلاق والسير وأداة النفوس، تحقيق وتقديم وتعليق: الطاهر أحمد مكي، .Edالقاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٨١، .١vol.

[٢٧] الغزالي، إحياء علوم الدين. القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية، د.ت.

[٢٨] الغزالي، ميزان الاعمال، تحقيق وتقديم: سليمان دنيا، .Ed مصر: دار المعارف، ١٩٦٤، .١vol.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq